الفارابي

استشكالاته الفلسفية

المحاضرة السادسة:

الفارابي نشأته وحياته العلمية:

هو محمد بن طرخان بن أوزلغ ابو نصر الفارابي، تركي الاصل ولد في مدينة فاراب، على نهر جيحون في عام (259ه/872م-339ه/950م)، كانت بداية تعليمه في هذه المدينة، درس الفلسفة والآداب ، ثم انتقل الى بغداد اين تعلم على يد كبار العلماء بها فتعلم الطبّ والفلسفة من الطبيب يوحنا ابن جيلان، وكان تلميذا لأبي بشر متّى بن يونس في الفلسفة والمنطق، وتعلم علم النحو والمنطق من أبي بكر بن السراج((**هو إمام النحو أبو بكر، محمد بن السري البغدادي النحوي**) وقد كان اهتمامه بتحصيل العلم دافعا لتنقله إلى مصر والشام، وقد توفي بدمشق.

يعتبر الفارابي من المؤسسين للفلسفة الإسلامية، وهو يعتبر لفلسفة العلم بالوجود ككل، أي العلم الذي يمكن الإنسان من بلوغ صورة كلية للكون، وقد تميز بتوجهه الفلسفي الذي يقوم على الجمع (التوفيق) كونه يقول بوحدة الحقيقة، هذه النظرة التي من خلالها يرى بانعدام التعارض الجوهري بين الفلسفة وكذلك بين الحكمة والشريعة، وانّ الإختلاف الذي ظهر للبعض، هو اختلاف ظاهري فقط ، يرجع إلى الاختلاف في السياقات التي تشكّل فيها الخطاب الفلسفي، او الفهوم البشرية للنص الديني وكذلك البشري. وابرز مؤلف يبرز هذا التوجه هو مؤلفه **الجمع بين رأيي الحكيمين.**

وهناك من يعزو للفارابي توطيد الفلسفة في العالم العربي الإسلامي، مما جعله مرجعية فلسفية لمن جاء بعده من الفلاسفة، سواء في فهم الفلسفة اليونانية أو في وضع وبناء الأطروحات الفلسفية في مختلف الإشكاليات التي كانت تطرح على ارض البحث والنظر(**عبد الرحمن فهمي،الموسوعة الفلسفة الإسلامية،ج1 ص 118**).

كما يرجع إلى الفارابي الفضل في توضيح علم المنطق وتهذيب مصطلحاته العربية وتيسير دراسته،و هو إلى جانب اعتباره المنطق قانونا للتعبير بلغة العقل الإنساني عند جميع الأمم، يرى انه يشمل على كثير من الملاحظات اللغوية، كما يشتمل على مباحث في نظرية المعرفة، هذه الأخيرة التي يرى أنها كامنة في النفس البشرية منذ الطفولة.

مؤلفاته: لقد الّف الفارابي العديد من المؤلفات، وقد أشار البيهقي إلى ذلك فقال: له تصانيف كثيرة موجودة بالشام وخرسان، لكن لم يصل إلينا من هذه المؤلفات سوى القليل، ففي مجال الفلسفة نذكر: **"عيون المسائل"** حيث تناول فيه مباحث العلم الإلهي و المباحث الطبيعية، وكتاب **"تعليقات الحكمة"** و رسالة في إثبات المفارقات" وكذلك كتاب "فصوص الحكم" تحدث فيه عن التوحيد ومؤلفه "الجمع بين رأيي الحكيمين" وله كتاب " المسائل الفلسفية والأجوبة عنها" وهو عبارة عن مجموعة من المسائل التي سئل عنها الفارابي و أجاب عنها حيث بلغ عددها اثنتان وأربعون مسالة، كما له كتاب "أراء اهل المدينة الفاضلة" تناول فيهٍ رايه ومذهبه الفلسفي في النفس الإنسانية والسياسية والأخلاق وكذلك الإلهيات،حيث استعان في تكوين مدينته الفاضلة بفلسفة أفلاطون بالإضافة إلى أحكام الإسلام.

تعريفه للفلسفة

لقد ترك أبا نصر الفارابي جملة من النصوص التي تبيّن موقفه من الفلسفة وطبيعة الزوايا التي اعتمده للتعريف بالفلسفة،وهي زويا تتعلق بالاشتقاق اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الفلسفة وكذلك من جانب أصلها الحضاري وعبورها إلى الحاضرة العربية الاسلامية، هذا العمل الذي يوضح للدارس موقف الفارابي من الفلسفة، سواء من حيث ظروف نشأتها، إذ يرى أن نشأتها الأولى لا يمكن أن تنسب إلى اليونان، بل ان جذورها التاريخية تعود إلى الحضارات القديمة التي سبقت الحضارة اليونانية ،وهو طرح يؤكد من خلاله استحالة رهن الإنتاج الفكري والفلسفي بجنس محدّد، بل هو ظاهرة وخاصية بشرية موجودة أينما كان هناك

الإنسان وان اختلف طرق التفكير ومستوياته، وهو طرح لا يقلّل من دور ومكانة فلاسفة اليونان في تطوير الفلسفة وانتقالها إلى الحضارات التالية.

1- تعرف الفلسفة لغة واصطلاحا:

معنى الفلسفة: يؤكد الفارابي أن اسم الفلسفة ((يوناني، وهو دخيل على العربية، وهو على مذهب لسانهم فيلاسوفيا، ومعناه إيثار الحكمة، وهو في لسانهم ، مرّكب من "فيلا" و"سوفيا"، ففيلا الإيثار، وسوفيا الحكمة، والفيلسوف مشتق من الفلسفة، وهو مذهب لسانهم فيلسوف، فإن هذا التغيير هو تغيير كثير من الاشتقاقات عندهم، ومعناه: المؤثر للحكمة))[1] وهو تصريح يبيّن من خلاله أن الفلسفة ما هي إلى محبة الحكمة ، وهي مطلب بشري ينشده الإنسان، كل على مستواه و وفق قدراته وانشغالاته الحياتية، ومنه يصبح فعل التفلسف لاصق بالإنسان وحاضر في مختلف الأزمنة بشكل عام. وإذا كانت الفلسفة تعني محبة الحكمة فإن الذي يتفلسف يكون محباً للحكمة ((وكان اللذين عندهم هذا العلم من اليونانيين يسمّونه الحكمة على الإطلاق، والحكمة العظمى، ويسمّون اقتناءها العلم، وملكتها الفلسفة، ويعنون بها إيثار الحكمة العظمى، ومحبّتها، ويسمّون المقتني لها فيلسوفاً، ويعنون المحب، والمؤثر للحكمة العظمى))2-6 فالفيلسوف إذن إنسان ينشد الحكمة ويسعى لاكتسابها، ولهذا لا يسمى الحكيم كونه لا يمتلك العلم النهائي بل هو يجتهد للوصول إلى ذلك ((يجعل الوكد من حياته وغرضه من عمره الحكمة))3-10.وهو يقصد الحكمة هنا كل مجالات الحياة- كلية- حكمة لا حدود لها، تستعمل كل الصناعات، وكل الفضائل، ولهذا يعرف الفارابي الفلسفة بقوله:

تعريف الفلسفة: يعرفها في كتابه الجمع بين رأيي الحكيمين بأنها((العلم بالموجودات بما هي موجودة))4-15.وهو هنا يطلق تسمية علم على الفلسفة، فهي تمكن الإنسان من بلوغ الحقيقة، حقيقة الموجودات" علم

[1] ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت- ص5.

بالموجودات" ويعني علم بعمومها وليس بتفاصيلها، كون العلم بالتفاصيل يرجع إلى العلوم الجزئية، وهي إنمّا تهتم بفحص الجسم بالإجمال، و تبحث في الحياة بالإجمال كذلك. وهو لا يتوقف عند هذا الحد، بل يبيّن الأساس الذي يعتمده الفيلسوف عند بحثه في الوجود،حيث جعل من العلل أساسا معرفيا لها**(أنها علم بالموجودات بما هي موجودة) والعلل التي يبحث فيها الفيلسوف هي العلل البعيدة، التي تتيح له امكانية فهم هذا الوجود، ومنه الإجابة على الأسئلة التي تحيّر العقل البشري، من أنا، من أين أنا، ما هو مصيري؟ وإذا كانت العلوم الأخرى تبحث في العلل، فإن العلل التي تبحث فيها قريبة مرتبطة بالأسباب القريبة التي تساهم في حدوث الشيء أو الموضوع، أمّا العلل التي تبحث فيها الفلسفة فهي بعيدة((إنّ موضوعات العلوم، وموادها لا تخلو من أن تكون: إمّا إلهية و إمّا طبيعية، وإمّا رياضية، أ, سياسية، وصناعة الفلسفة هي المستنبطة لهذه والمخرجة لها، حتى أنه لا يوجد شيء من موجدات العالم إلاّ وللفلسفة فيه مدخل، وعليه غرض، ومنه علم بمقدار الطاقة البشرية)) وهذا يظهر إدراك الفارابي بكلية الفلسفة وتداخلها مع مختلف العلوم لدرجة أنه يعتبرها((علم العلوم،وحكمة الحكم، وصناعة الصناعات، ويعنون بها الصناعة التي تستعمل الصناعات كلها، والفضيلة التي تستعمل الفضائل كها، والحكمة التي تستعمل الحكم كلها)). فالحكمة هي الفضائل كلها بالقوة، وليست بالفعل، لان وجودها بالفعل يجعلها كاملة،والكمال لله يجعل الإنسان يملكها،وهذا يؤكد قدرة الإنسان على امتلاك الحكمة عندما تتحقق فيه الفضائل النظرية، الفضائل الفكرية والفضائل الخلقية والفضائل العلمية.**

هذا الشرط الذي يوحي بقناعة الفارابي بدور الفضائل في امتلاك الحقيقة والحكمة وكذلك دور الفلسفة في تحقيق الإنسان الفاضل ومنه تصبح الفلسفة أوسع م أن تحصر في كم عرفي محدّد،بل هي نظام فكري منسجم ومتناغم يشمل الحياة الإنسانية بمختلف أبعاده.

<u>الفضائل النظرية يقصد بها</u>: العلوم التي الغرض منها أن تحصل الموجودات، التي تحتوي عليها متيقنا بها فقط وهذه العلوم منها ما يحصل للإنسان منذ أوّل أمره من حيث لا يشعر، ولا يدري، كيف ومن أين حصلت، وهي العلوم الأولى المتمثلة بمبدأ عدم التناقض، ومبدأ الثالث المرفوع، ومبدأ العلية السببية، أي البديهيات أو مبادئ الفكر الأساسية، التي هي فطرية في الإنسان، ومنها ما يحصل بتأمل، وعن فحص، واستنباط، وتعليم، وتعلّم، أي تحصل عن طريق الاكتساب))

<u>الفضائل الفكرية</u>: يقصد بها القوة التي بها تستنبط وتُميّزُ الأعراض التي يشأنها أن تتبدّل على المعقولات التي شأن جزئياتها أن توجد بالإرادة عندما يلتمس إيجادها بالفعل عن الإرادة في زمان محدود، ومكان محدود، عند وارد محدود طال الزمن أو قصر ، عظم أو صغُر.

<u>الفضائل الخلقية</u>: هي التي تصنع قواعد السلوك المؤدي إلى تحصيل السعادة، وهي تشقها بالممارسة العملية، والتجربة الحيوية، ومن ثم فهي مرتبطة من جهة بالفضائل الفكرية، ومن جهة بالفضائل العملية، وهذه الأخيرة هي النوع الرابع من الفضائل، وهي التي يتم بها تعويد الجمهور الأفعال التي توصلهم إلى الكمال، وتكون بطريقتين: إحداهما بالأقاويل الإقناعية، والأقاويل الانفعالية، والطريق الآخر هو طريق الإكراه.

وإذا كان الفارابي يقدم لنا هذا التصنيف الرباعي فهو لا يفصل بين الفضائل لدرجة انعدام امكانية التكامل بين هذه الأقسام، بل العلاقة التي تربط بينها تكاملية وهو الأمر نفسه الذي ينطبق على الفلسفة النظرية والفلسفة العملية ، فالفلسفة النظرية تحصل بالتأمل والنظر في الموجودات التي ليس للإنسان دخل في وجودها وأمّا الفلسفة العملية فهي متعلقة بمعرفة الأشياء والأفعال التي يجب أن يقوم بها أو يبتعد عنها أو يرغب فيها أو ينفر منها كفعل الجميل وتحديد الخير والشر وغيرها من المعارف العملية والمدنية، ولذلك يسميها بالفلسفة العملية أو الفلسفة المدنية.

ما هو مصدر فضيلة الفلسفة؟

بالنسبة للفارابي الشيء يستمد قيمته من شرف موضوعه أو بقوة الحجج التي يقوم عليها أو بدوره في حياة الإنسان وتحصيل السعادة. على هذا الأساس نجده يصنف الفلسفة إلى أصناف ويقسمها إلى أنواع، يحاول من خلال ذلك إزالت التهمة اللصيقة بالفلسفة والفلاسفة " ينشرون التفرقة والخلاف وينشدون المال على حساب القيم والحقيقة" .

تصنيفه للفلسفة: يرى ان الفلسفة صنفين:

- فلسفة تحصل بها معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها وهي الفلسفة النظرية كحقيقة الوجد مثلا.

- فلسفة تحصل بها معرفة الأشياء التي شأنها ان تفعل أي تساهم في توجيه الفكر والسلوك البشري نحو أمر ما له مكانته القيمية او تنفّر السلوك عن أمر ما لدنو قيمته، وهي ما يسميه **بالفلسفة العملية او "المدنية"** وهي صنفان **"أحدهما تحصل به الأفعال والأخلاق التي تصدر عنها الأفعال الجميلة، والقدرة على أسبابها وبه تصير الأشياء الجميلة قنية -متاحة- لنا وتسمى الصناعة الخلقية، والصنف الثاني يشتمل على تحصيلها لهم، وحفظها عليهم وهذه تسمى الفلسفة السياسية.**

(الفارابي، كتاب التنبيه على سبل السعادة، ضمن رسائل الفارابي ص 19،20.)

وهنا ندرك كيف يؤكد الفارابي دور الفلسفة وعلاقتها بحياة الإنسان كفرد وكجماعة، فهي لا تتيح له فرصة وإمكانية امتلاك المعرفة عن هذا الوجود كما هو موجود، بل كذلك تمكنه من معرفة القيم والأفعال التي يجب أن تفعل أو الأفعال التي يجب أن لا تفعل، وذا يؤكد وعيه بالقيمة الحضارية والمعرفية للفكر الفلسفي.

ومنه تحصل الفلسفة على قيمتها بسبب شرف الموضوع الذي تشتغل عليه وكذلك على قيامها على البرهان، وتساعد على بلوغ السعادة والفضيلة.

كما ان الفلسفة لا تنفصل عن العلوم بالرغم من اختلاف الموضوعات، وهي لا تنفصل عن متغيرات الحياة البشرية بكل أبعادها الاجتماعية والفكرية والدينية .

من يشتغل بالحكمة/ من هو الفيلسوف؟

يقول في كتابه تحصيل السعادة ص 89" ينبغي لمن يتكلم بعلم الحكمة أن يكون شاباً فارغ القلب غير ملتفت إلى الدنيا، صحيح المزاج، محبا للعلم بحيث لا يختار على العلم شيئاً من أسباب الدنيا، ويكون صدوقا لا يتكلّم بغير الصدق و أن يكون محبا للإنصاف بالطبع لا بالتكلف، ويكون أمينا متديناً، عاملا بالأعمال الدينية والوظائف الشرعية، غير مُخل بواجب منها، فمن أخلّ بواجب من الواجبات التي أمر بها نبيّ من أنبياء الله تعالى به ثم ورد على الحكمة فهو أهل أن يُهجر أو يُترك"

فالفلسفة هي اشتغال بالفضيلة والفضائل ولا علاقة لها بالتشويش على عقول الناس والتشكيك في عقيدتهم وقيمهم أو باصطناع كلام عويص الفهم وصعب المنال لتعجيز الناس وطلب المناصب.

أنواع الفلسفة:

يقسم الفلسفة إلى أنواع، لينشر الوعي الفلسفي الذي يتيح للناس امكانية معرفة الفلسفة الحقة والفيلسوف الحقيقي عن غيره من الأفكار والمحاولات الفكرية التي تنسب للفلسفة أو الأشخاص الذين يزعمون أنهم فلاسفة لكثرة مؤلفاتهم:

- الفلسفة بالحقيقة: هي ذلك النظر الذي يشتغل وينظر في الفضائل النظرية والعملية ببصيرة يقينية مع القدرة على إيجادها جميعا في الأمم والمدن بالوجه والمقدار الممكنين في كل واحد منها، والفيلسوف بالحقيقة هو الذي تتوفر فيه الشروط التالية :

- ان يكون حسن الأخلاق، يوافق الجمهور في الرسوم- القوانين- والعادات التي يستعملها اهل زمانه، يحرّم ويحلّل على نفسه ما حرّم وحُلّل في ملة نبيّه، محبا للعلم فالفيلسوف" ابن أمته وعصره" " الذي حصلت له الفضائل النظرية أولاً ثم العملية ببصيرة ويقينية، ثم أن تكون له قدرة على إيجادها جميعا في الأمم والمدن بالوجه والمقدار الممكنين في كل واحد منهم" **الفارابي تحصيل السعادة ص89.**

- الفلسفة البرانية: وهي ما يسميه الفارابي بالفلسفة الرابعة، تحمل القيم والحقية ويحاول الرئيس او الفيلسوف ان يوصلها إلى الناس الذين لم يألفوها لأنها جديدة عنهم، حكمة ومنهجاً، فيعتمد في ذلك طرقاً مألوفة لغة وامثال وحكم لتقريبها من الناس وحملهم على فهمها والاقتناع بها والعمل بها لما فيها من سعادة.

الفلسفة الباطلة: او الناقصة: صاحبها هو الفيلسوف الباطل " الذي لم يشعر بعد بالغرض الذي له التمست الفلسفة، فحصل على النظرية أو على جزء من أجزاء النظرية فقط، فرأى ان الغرض من مقدارها ما حصل له منها بعض السعادات المضنونة أنها سعادة، التي هي عند الجمهور خيرات؛ فأقام عليها طلبا لذلك، وطمعاً في أن ينال له ذلك الغرض، وهذا ربما نال به الغرض، فأقام عليه وربما عسُر عليه نبل الغرض، فرأى فيما علمه أنه فضل و أن فيه كفاية" (تحصيل السعادة،ص96)فالفلسفة تجعل من طالبها ومحبها ينشد الحق كمقصد مطلق ولا يتوقف عن ممارسة النظر .

الفلسفة البهرج: إنها فلسفة من يتعلّم العلوم النظرية ولم يرد ولم يعتد الأفعال الفاضلة التي بحسب ملة ما، والأفعال الجميلة التي في المشهور بل كان تابعاً لهواه وشهواته في كل شيء من الأشياء انفق(تحصيل السعادة ص100) فصاحب هذا النوع من الفلسفة بمثابة إنسان تعلم العلوم النظرية ولم يدرك علاقتها بعضها ببعض (علاقة متعدية تكاملية) ولم يدرك قيمة ودور الفلسفة وما تدعو إليه من فضائل فيكتفي بذلك بالمعرفة النظرية وفقط كبهرج يزيّن به فكرُه.

- الفلسفة الزُّور: فلسفة الزور، هي فلسفة من تعلّم العلوم النظرية من غير أن يكون معداً بالطبع نحوها،(تحصيل السعادة ص96) أي من غير ان يكون له الاستعداد الفطري الضروري لذلك، فالإنسان لا يمكنه أن يكون فيلسوفاً إلاّ إذا كان أهلاً لذلك، ومن تجاوز هذا المبدأ خدع نفسه وغيره فصار مُزوّرا

تزول فلسفته ومكانته مع الوقت. وفي هذا تأكيد من الفارابي ان الزمن محك قوي لاختبار الفلسفة الحقة من غيرها والفيلسوف الحق من غيره

ولها قال: شرح رسالة زينون ص9 " إن شاهق المعرفة اسمى من ان يطير اليه كل طائر، وسُرادف البصيره احجب من ان يحوم حوله كل سائر".